جاءت ولا « يتسرب » شيء منها الى سكان المخيم ، فأن الفاشيين اصروا على مصادرتها .

وتم نقل اول جريح في الساعة الحادية عشرة و ٤٥ دقيقة من صباح يوم الثلاثاء الماضي واستغرق نقل الباقين (٩٠ جريحا) ساعة . وتحركت الكميونات من الملعب الى المفرق المجاور ، ثم سمح للصحفيين بالاقتراب . وهنا بدأ الفاشيون التحقيق مع الجرحى !

وكانت الاسئلة التي يوجهها الفاشيون تدور حول جنسية الجريح ونوع اصابته وما اذا كان يرغب في التوجه الى المنطقة الشرقية ام الغربية من بيروت !

واجمع كل الجرحى على التوجه الى بيروت الغربية .

واستمر التحقيق ساعة اخرى ، ظل الجرحى خلالها تحت وهج الشمس بعد ان بقوا اياما واسابيع في ملاجئهم لا يرون الشمس مما زاد من ارهاقهم بسبب هذا الانتقال المفاجيء الى التعرض للحرارة فضلا عن تأثير الشمس على الجروح . ومن ناحية اخرى فقد كان استنشاق الاوكسجين تجربة جديدة تحتاج الى فترة انتقالية . ومرة اخرى ، رفض الفاشيون السماح للصليب الاحمر بتغطية الكميونات بالبطانيات .. او حتى بحضور رجال الصليب الاحمر هذه « التحقيقات » .

الاطفال في خطر

في تلك الاثناء ،خيم على الجو توتر شديد . وبدا ان رجال الصليب الاحمر الدولي لا يستبعدون ان يطلق المقاتلون الفاشيون النار فجأة على الجرحى ، خاصة وان هؤلاء الفاشيين لم يكفوا لحظة واحدة عن توجيه الشتائم والاهانات الى الجرحى ، حتى الاطفال منهم ، كما قام الفاشيون بحركات واشارات مبتذلة بأيديهم مما يكشف عن مدى حقدهم وانحطاطهم الخلقي .

وتجمع حوالي مائة مقاتل فاشي واخذوا يصرخون ويتقاتلون فيما بينهم . وبدأ اطلاق نار كثيف بين الكتائب والاحرار وحراس الارزة وجيش بركات - الذي كان يبدو اقلهم اهمية وسطهم - .

ومن خلال الصراخ والصدامات بين الفاشيين .. ظهر ان الاحرار الشمعونيين يرفضون « ان يلعبوا دور الشرطة لحماية الفلسطينيين » مما جعل رجال الصليب الاحمر يتوقعون ، بين لحظة واخرى ، ان يطلق الفاشيون النار على الجرحى والقافلة .

مرتان ، اضطر الصحفيون للاختباء من النيران التي تبودلت بين الفاشيين ، وجوه الاطفال الجرحى صامدة تحت تأثير الصدمة ، عيون واسعة تحملق في ذهول . تدرك وانت تتأملهم انهم كانوا يشعرون باطمئنان اكبر داخل المخيم رغم قسوة الظروف .

وفي تلك اللحظة كان يكفي ان يطلق احد الفاشيين طلقة واحدة في اتجاه الاطفال حتى ينفجر حقد بقية الفاشيين ويفرغوا رصاصهم في صدور كل الجرحى

اخيرا .. تحركت القافلة .

وصرخت سيدة وهي ترى المشهد من شرفة منزلها الذي يقع في منطقة الانعزاليين باللغة الفرنسية : يا «الهي .. الاطفال » !

وما ان اجتازت القافلة الحواجز الفاشية حتى انقلب المشهد تماما . احتشدت الجماهير في الشوارع تحيي ابطال المخيم الصامد .

امتزجت دموع الفرح بدموع التأثر والانفعال بعد ان تحامل الجرحى على انفسهم ورفعوا علامات النصر بالاذرع الباقية لديهم ،معنوياتهم في القمة . واشتد انفعال الجماهير وهي ترى الجريح الذي فقد احدى ذراعيه يرفع علامة النصر بذراعه الاخرى .

في تلك الساعة ادركت الجماهير ان صمود هؤلاء الابطال لم

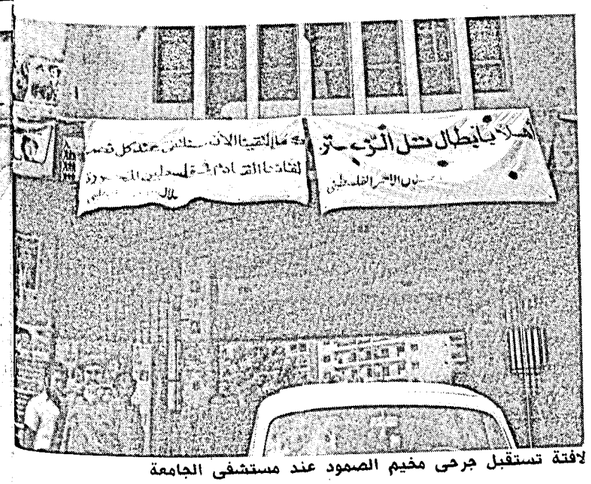

لافتة تستقبل جرحى مخيم الصمود عند مستشفى الجامعة

يكن مصادفة . انهم من معدن خاص ،يناضلون من اجل قضية عادلة ومقدسة .

وادركت الجماهير ان صمودهم هو الذي هز الضمير العالمي وحرك جميع الهيئات والاحزاب العالمية لتقف الى جانبهم .

وازدادت ثقة الجماهير في قدرة تل الزعتر على المقاومة والصمود والانتصار .

مع ايفا ستروم

« الحب يصنع كل شيء »

هكذا تقول ايفا ستروم الممرضة السويدية التي اصبح اسمها على كل لسان في العالم بسبب التجربة التي عاشتها في تل الزعتر بعد ان التقينا بها في المستشفى اثر نقلها على يد الصليب الاحمر الدولي في اول مجموعة تخرج من المخيم .

فتاة عذبة .. رقيقة كانت تعيش في بلد هادىء حياة عائلية مستقرة . ولكن ايفا ستروم لم تكن مثل الاخرين . لم تفكر يوما في ترتيب اوضاعها البورجوازية او ان تعيش حياتها لنفسها بعيدا عن كل المنغصات والمتاعب والهموم .

فقد اختارت ان تكرس جهدها وطاقتها من اجل الدفاع عن الشعوب المقهورة والمنسية . لا مكان للمصالح الذاتية ولا اثر للانانية . اخرون يعيشون ويموتون دون ان يتركوا وراءهم اثرا او ذكرى او اي شيء ينفع الناس .

وفي السويد ، كانت القضية الملحة في عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩ هي الدفاع عن الشعب الفيتنامي الذي يواجه حربا شرسة تخوضها الامبريالية الاميركية لقمع حركته التحريرية . شاركت في اجتماعات ومظاهرات التأييد والمساندة للنضال الفيتنامي .

وانتصر شعب فيتنام ، ولكن ايفا ستروم لم تهدأ او تستقر . فالظلم والقهر والتعسف ما زال موجودا في العالم ، والدليل على ذلك : قضية الشعب الفلسطيني .

وقد لبت ايفا ستروم النداء الذي وجهته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الى الاطباء والممرضات للتطوع في خدمة الشعب الفلسطيني . جاءت الى تل الزعتر لاول مرة في كانون الاول عام ١٩٧٤ .

ايفا ستروم : الحب يصنع كل شيء

وكما احبت ايفا الشعب الفيتنامي المناضل فانها تعلقت بقضية الشعب الفلسطيني المناضل واحبت تل الزعتر بعد ان التقت بأهله . ادركت انها ، هنا في تل الزعتر، تستطيع ان تؤدي واجبا وتضطلع برسالة .

وعادت الى السويد لابلاغ قرارها الى اسرتها ، ولكن الاسرة لا تعرف الكثير عن قضية شعب فلسطين ، ولا تفهم مغزى القرار . ثم ان لبنان بلد بعيد وغامض . ولكن ايفا ستروم كانت قد اتخذت قرارها .

وتعود الى تل الزعتر في اذار ١٩٧٥ للعمل كممرضة في المخيم . تخفيف الام الناس وتضميد جراحهم والوقوف الى جانبهم وقت المحنة والحصار .. ذلك كان محور اهتمامها ونشاطها .

كل سكان المخيم يعرفون « سميرة » التي بدأت تتكلم باللغة العربية وتستمع الى شكاواهم وحكاياتهم وهمومهم .

وتتزوج من المناضل يوسف حمد .. وكان قرار الزواج هو بمثابة اعلان الارتباط المصيري بالنضال الفلسطيني .

صاروخ في جدار الغرفة

كان الرفيق يوسف حمد هو المسؤول عن المستوصف الذي تعمل به في تل الزعتر . كانا قد اعلنا خطوبتهما في صيف ١٩٧٥ وتزوجا بعد بضعة اشهر .

وفي احد امسيات شهر حزيران الماضي اطلق الفاشيون صواريخهم على المخيم .

تقول ايفا ستروم : « كان يوسف نائما الى جواري على الارض واخترق صاروخ جدار الغرفة ، فأصابت شظية عنق زوجي فاستشهد في الحال كما اصابت شظايا اخرى ذراعي الايمن وساقي . حدث ذلك في ١٣ حزيران . كان لا بد ان يقطعوا ذراعي بعد ان ثبت انه لا علاج اخر » .

□ وماذا عن ساقك ؟

تحت غطاء السرير كانت ساقها اليسرى حتى اعلى الفخذ محاطة بالجبس .

وجاء طبيب المستشفى ليقول انها في حاجة الى عملية شد عظام وتغيير الجلد .

ولكن ايفا ستروم اجابت على السؤال في بساطة بقولها : « يحتاج الى بعض العلاج ولا اعتقد انهم سيقطعونه ايضا » !

قتلوا الجنين في احشائها

□ ماذا عن الجنين الذي كان في احشائك ؟

السؤال صعب بالنسبة لمن يسأل ، فقد يعيد الى ذاكرتها .. الكثير من الاشجان والاحزان .

ولكن ايفا ترد في بساطة ايضا وقد بدا عليها الارهاق :

● كان الجنين يعاني من نقص شديد في الدم بسبب الدماء الغزيرة التي فقدتها عند اصابتي . ويبدو ان شيئا حدث له فور ان حدثت لي تلك الاصابة .

تسألني كيف فقدت الجنين .. لقد كنت في مخبأ الهلال الاحمر الفلسطيني . ونقلوني بعد ثلاثة اسابيع من اصابتي بسبب القصف الشديد الذي ينهال على المخيم ليضعوني في مكان اكثر امانا . وبالفعل، انتقلت الى شقة في الطابق الاول في بناية اخرى .. وجاءت قذيفة على نفس الطابق .. وكانت نهاية الجنين . كان قد اختتم الشهر السادس وبدأ شهره السابع .. ولكن .. » .

وتوقفت ايفا ستروم عن الكلام لحظة .

في شهر حزيران فقدت زوجها وذراعها ، واصيب ساقها اصابة خطرة . وفي شهر تموز فقدت جنينها ، وعاشت مع سكان المخيم ومقاتليه احلك الاسابيع وابشع الظروف ..

ومع ذلك .. فان هذه السيدة ، التي لم تتجاوز السابع والعشرين من عمرها ، تروي قصتها في بساطة وهدوء مثل شيخ حكيم انضجته التجارب وعركته عوادي الزمن .

قوية الشخصية ، مثقفة ولكنها تتميز ببساطة الطفل البريء الذي تداهمه اعتى الصدمات .. ولكنه يواجهها بعناد يفوق طاقته وبقدرة هائلة على العطاء . يفعل ذلك وكأنه يقوم بعمل عادي يندرج في اطار تأدية واجبه .

وها هي تقاطعني باحتجاج رقيق :

« حكايتي عادية ليس فيها ما يستوقف النظر او يثير الاهتمام . المأساة الحقيقية هي الاوضاع الحالية في تل الزعتر والناس الذين يعانون هناك » .

الاطباء عاجزون وعددهم اربعة

□ كم عدد الجرحى الان في تل الزعتر ؟

● حوالي ١٥٠٠ جريح .

□ والاطباء ؟

● اربعة فقط !

كيف يمارس الاطباء عملهم ؟

● لا توجد لديهم اية امكانيات . لا توجد ادوية . ولولا ان اصابتي وقعت يوم ١٣ حزيران اي قبل ايام قليلة من استنفاد جميع الامكانيات الطبية في المخيم لما كنت الان على قيد الحياة .

□ اذن ماذا يفعل هؤلاء الاطباء ؟

● يقدمون لسكان المخيم بعض النصائح لتفادي الموت العاجل بسبب الامراض الكثيرة المنتشرة هناك ، ثم يمكثون عاجزين عن القيام بأي شيء وهم يشاهدون الناس يموتون .

وبعض السكان الجرحى يموتون بعد يومين او ثلاثة من اصابتهم .

□ الى اين وصلت مشكلة المياه داخل المخيم ؟